الحب في كلمات واغاني

اعداد

عامر شحاته

مقدمة

يعجبني من الفتي الشجاعة والأقدام ، ومن الفتاه الحياء والأدب .

لأن شجاعة الفتي ملاك أخلاقه كلها .

وحياء الفتاة جمالها الذي لاجمال لها سواه .

ولهذا اقدم هذا الكتاب إلي كل شاب وفتاة ليستفيد كل منهما بالصفة التي أحب أن أراهما فيها .

وليضعا حياتهما المستقبلية علي أساس الفضيلة .

- نقاط هامة للمناقشة :

١ـ مفهوم الحب الأول

٢ـ أسباب الحب الأول

٣ـ الحب الأول بين النجاح ... و... الفشل

٤ـ الحب الأول بين الواقع ... و... الخيال

٥ـ الأحلام المصاحبة للحب الأول

٦ـ اختيار الطرف الأخر للحب الأول

٧ـ أسباب انتشار الحب الأول في الجامعات

٨ـ الحب الأول كظاهرة اجتماعية

٩ـ الحب الأول أم الحب الحقيقي

١٠ـ الفرق بين الحب الأول و الحب الحقيقي

من حيث أوجه الشبه وأوجه الاختلاف .

١١ـ الحب الحقيقي ... مفهومة ... وأسبابه .

١٢ـ الحب الحقيقي ... والتسامح ... الرحمة ... الغفران .

١٣ـ متي يتحول الحب الأول إلي حب حقيقي ؟

١٤ـ حب في مهب الريح الأول ... الحقيقي .

رؤية : **مي رجب**

أشعار : الشاعر الكبير " فاروق جويدة "

(ليتني زهرة)

أغاني لها معي قصة حب

كاظم الساهر

الحب الأول في مواجهة مع الحب الحقيقي

صعب علينا ونحن الشباب الصغير أن ندرك كل معاني الأشياء التي نمر بها في واقعا الذي نعيشه الإدراك الصحيح ... فتختلط علينا الأمور وتتضارب أفكارنا إلي أن يصل بنا الأمر إلي فقدان معاني الأشياء وتصبح الحياة بلا معني .. بلا هوية .. بلا هدف . ... نفتقد كل من حولنا . ... الأم مشغولة بالبيت .. والنظافة .. وتدبير شئون المنزل ... الأب مشغول ليلا ونهارا بعمله ... أصبح لا وقت لأبناء هما بحجة توفير الاستقرار والرعاية المادية لهما ... نسيا أن الرعاية النفسية والاستقرار العاطفي هو الأهم ... هو الأبقي . ... نسيا أن الاهتمام الحقيقي بأبناء هما هو الاهتمام النفسي ... الاهتمام العقلي والفكري . ... إن عدم احترام الآباء لعقول أبناءهم ... ونظرتهم لهم علي أنهم دائما أطفال هو السبب الرئيسي المباشر في هروب هؤلاء الأبناء .

... إنهم يهربون لا بأجسادهم .. بل بعقولهم .. بروحهم .. بمشاعرهم

... إنه الهروب النفسي .. أشد وأسوأ أنواع الهروب

... إنه " الحب الأول "

أو بالمعني الصحيح له ... حب المراهقة ... أو ... حب علي ورق سليوفان ...

الذي يلجأ إليه الشباب للهروب من واقعهم الأليم ليحلقوا في سماء الخيال الجميل .

فتشعر الفتاة أنها مرغوبة ... محبوبة ... هناك من يشعرها بجمالها ورقتها وأنوثتها وعذوبتها ... بعد أن كانت تشعر في منزلها أنها لا شيي .. ووالديها مازالوا ينظرون عليها نظرة تدل علي أنها دائما طفلة لا تكبر .. لا تتغير .

أما الشاب فيشعر أنه أصبح رجلا كبيرا يوجد من هم مسئولين منه ... لم يعد هذا الفتي الصغير المسؤول من والدته :

إن الأسر التي تصرخ وتعاني من الحب الأول ومشاكله هم أول المسؤولين عنه ... هم الذين وضعوا ـ وبطريق غير مباشر ـ بذرته في نفوس أبناءهم الصغار لتترعرع هذه البذرة وتصل إلي قمة نموها في سن المراهقة ... السن التي يكبر فيها الصغير .

إن (الحب الأول) في حد ذاته ليس حبا بالمعني المفهوم لدينا للحب ... بل إنها مشاعر عابرة تمر مرور الكرم في حياة الإنسان وتترك لديه خبرة ... أي أن الحب الأول لا يزيد في ذاته عن كونه تجربة .

نعم ... تجربة ... أو بمعني أصح أهم وأصعب تجربة في حياة الإنسان ... فهي تؤثر بعد زوالها وانتهائها سواء بالنجاح أو الفشل علي سلوك الإنسان ومشاعره وعواطفه تجاه الآخرين .

وقد أكدت الأبحاث والدراسات الخاصة بهذا الموضوع أن حوالي

تسعين بالمائة من حالات الحب الأول دائما ما تنتهي بالفشل .

ويرجع هذا الفشل إلي أسباب كثيرة جدا منها الظروف الاقتصادية التي لا تسمح لأي شاب صغير في سن المراهقة بأن يبلور هذا الحب في بلورته الاجتماعية المتعارف عليها ــ الزواج ـ

... كما أن التغير العاطفي والفكري أيضا يقفان حائلا منيعا دون نجاح هذا الحب .

لا أعلم لماذا أسميه حب حتى الآن ... وبما هذه المشاعر هي أول مشاعر تجتاح حياة الشاب أو الفتاة بقوة وعنف . ربما لأن هذه المشاعر هي أول مشاعر تهتز لها أوتار القلب وينفعل معها الوجدان . ربما لأن هذه المشاعر هي المشاعر التي تنتشلنا من الواقع الأليم المرير إلي دنيا الخيال .

ربما ... ولا أعلم ماذا هناك غير ذلك .

ولكن كل هذا وغيره لا يعطي لأحد الحق في أن يسمي هذه المشاعر أو هذه التجربة حب ...

لأن الحب ليس هذا ... إنه اسمي من ذلك بكثير .

يمكن أن نتخيله معا من كلمات شاعرنا المحبوب

(فاروق جويدة)

عندما قال " **في رحاب الحب** " :

جعلتك كعبة في الأرض يأتي

إليك الناس من كل البقاع

وصغت هواك للدنيا نشيدا

تراقص حاليا مثل الشعاع

وكم ضمتك عيناك اشتياقا

وكم حملتك في شوق ذراعي

وكم هامت عليك ظلال قلبي

وفي عينيك كم سجت شراعي

رجعت لكعبتي فوجدت قبرا

وزهرا حوله تلهو الأفاعي

عبدتك في الهوى زمنا طويلا

وصرت اليوم أهرب من ضياعي

* * * * *

(٢)

وقد ناقشت الكثير من الأعمال الدرامية موضوع الحب الأول بوجهيه ــ أي الحب الأول الناجح والحب الأول الفاشل ـ وأثبتت هذه الأعمال للناس أنه لا يوجد حب أول وحب أخير ... بل إنه يوجد حب حقيقي وحب وحيد .

وإذا نظرنا إلي فكرة " الحب الأول الفاشل " طبعا نستطيع وقتها أن نتذكر فورا القصة الخالدة لإحسان عبد القدوس ألا وهي (الوسادة الخالية)

... وقد كان استهل هذه الرواية بمقولة : " في حياة كل من وهم كبير يسمي الحب الأول .. لا تصدق هذا الوهم ... إن حبك الأول هو حبك الأخير " .

لا نستطيع أن ننسي بطلي الرواية (سميحة وصلاح) اللذان تقابلا صدفة وأحبا بعضهما البعض وهما لا يزالان طالبان بالمدرسة الثانوية ... أحلام كثيرة وآمال كبيرة صاحبت حبهم البري الطاهر ... عاشا معاني دنيا الخيال ... حلقا في سماء الحب وكانا قد اتخذا موضع قريب في صحراء مصر الجديدة عشا لهما لا يرضيان بغيره ولا يستريحان إلا فيه ولا تحلو لهما النجوى إلا فوق رماله ... في عشهما الهادي الجميل تعلما معا أصول الغرام الشريف وإستهجا معا الحروف الأولي للحب البري .. تعلمت سميحة علي يد صلاح معني القبلة وعرفت أنها دوار لذيذ أحست به .. بل إنها ضربات راقصة يضربها قلبها ونشوة هادئة أنعشت أعصابها ... كانت قبلتهما لحنا كاملا تعزفه الشفاه .

أما صلاح فقد تعلم علي يد سميحة كيف يكون رجلا مسئولا واعيا ... كان حبه الأول حبا طاهرا عفيفا رفعه عن الأرض التي كان يعيش عليها مع زملاءه الطلبة

... أصبح إنسانا غير الذي يعرفه زملاءه .. لم يعد يشاركهم هذرهم الصاخب ولم يعد يبادلهم هذه الألفاظ الجارحة كما كان يفعل سابقا ... لقد أصبح صلاح إنسانا جديدا ...كان يفكر بها بالنهار ويحلم بها بالليل ... كان يتخيلها معه في كل وقت .. وهو يمشي فيتأنق في مشية .. وهو يفتح دولاب ملابسة فينظمه بذوقها ... وهو يكتب دروسه فيحسن خطه وكأنه يكتب خطابا غراميا لها ... كان يتخيل وجهها الجميل علي الوسادة الخالية التي بجانبه فيغمض عينيه ويأخذ الوسادة بين ذراعية ويلصق بها شفتيه ويقبل **الوسادة الخالية** .

وفي يوم من الأيام وبينها وهما جالسان في أحضان بعضهما البعض في عشهما الهادي ... فإذا به يخرج من جيبه دبلتان إحداهما مكتوب عليه (سميحة ١٥ـ ٦) والأخرى (صلاح ١٥ ـ ٦) وكان هذا هو تاريخ أول لقاء لهما ... وألبسا بعضهما الدبل الفضة وهما مقتنعان بأنهما وبهذه الطريقة قد تزوجا أمام الله .

ولكن تأتي الرياح دائما بما لا تشتهي السفن فإذا بصلاح غارق في أحلامه وأوهامه فإنه يفيق علي أبشع وأمر حقيقة يواجهها في حياته ألا وهي خطبة سميحة ... نعم فقد خطبت لطبيب شاب يدعي

(فؤاد عزمي) ولم تستطع أن تتملص من هذا العريس مثلما فعلت مع من سبقوه واستسلمت لأمر والديها وخطبت له ... أما صلاح فعندما علم بهذا الخبر أصبح مثل المجنون أو كالطائر المذبوح الذي يرقص رقصة الموت.. لم يفكر في شيي سوي أن سميحة هذه حقه وها قد سلب منه هذا الحق فعليه أن يأخذه هو بالقوة فلا يبقي لها ولأهلها سوي أن يأتوا إليه راكعين متوسلين إليه أن يتزوجها.. وبالفعل شرع في تنفيذ خطته الشريرة عندما كانت معه في عشهما الهادي .. فإذ به فجأة ينقض بشفتيه فوق شفتيها

كأنه يريد أن يمزقهما عن وجهه .. أما هي فقد ذعرت وصرخت وهي تحاول أن تدفعه عنها ... وأخذت تضرب صدره بيديها وهي تحاول أن تتملص من جسده الثقيل ولكنه كالمجنون الذي لا يزال في حمي جنونه ... وعندما بدأت يداه أن تمتد إلي أطراف ثوبها ليمزقها فإذ به تتصلبان عندما تقع عيناه علي يدها اليسرى ليري أنها مازالت متمسكة بحبه وأنها لا تزال محتفظة بدبلته الفضية التي ألبسها إياها ... وهنا أدرك صلاح بشاعة ما كان سيقدم عليه من جرم فظيع في حق نفسه وفي حقها ... أدرك أنه قد حطم بيده كل معني جميل كانت تكنها له ... أدرك أنه قد حطم بفعلته كل ذكري عطرة كانت ستتذكرها له ... أما سميحة فبعد أن استعادت هدوءها بعدما حدث وما أن انتظمت أنفاسها حتى نهضت وخلعت دبلته من إصبعها ورمتها له معلنة بذلك انتهاء قصة حبهما .

وتركته سميحة ... وخلفت وراءها ذكريات الماضي ... وتزوجت ... ومر سبع سنوات وهي تنعم بزواج مستقر وهادي ... لديها زوج مثالي يحبها ويحترمها ويلبي كل رغباتها ... شعرت سميحة معه بمعني الحب الحقيقي ... شعرت أن كل ما حدث في الماضي لا يتعدى عن كونه مجرد لعب عيال حدث .. واستمر فترة قصيرة .. وانتهي ... ولا يبقي منه الآن سوي أطلال مطموسة المعالم تمر كل فترة علي خاطرها فتضحك عليها ثم لغيها مرة أخري في جانب بعيد من عقلها .

أما صلاح فبالرغم من مرور سبعة أعوام علي آخر لقاء له مع سميحة إلا أنه مازال متمسكا بها ... فأصبح مثل الكاهن الذي ترهبن في معبده ليس له أي صلة بمن في الخارج ... وخلال السبع سنوات الماضية كان صلاح قد أنهي دراسته الجامعية في كلية التجارة وعمل بإحدى الشركات ... وغير ذلك اكتسب عددا جديدا من الأصدقاء كان من بينهم شخص يدعي (**فؤاد عزمي**) ذلك الطبيب الذي تزوجته سميحة ـ أصبح من أصدقاء صلاح ... أما هو فلم يكن بالنسبة لفؤاد صديق عادي بل كان من أعز أصدقاؤه .

وأخيرا قرر صلاح أن يخرج من معبده ... قرر أن يعيش حياة طبيعية مثل سائر البشر ... قرر أن يتزوج ... وقد كان قرار الزواج هذا بالنسبة لصلاح ليس مجرد قرار ليعيش حياة هانئة .. مستقرة فحسب ... بل إنه اتخذ هذا القرار حتى يثير غيرة سميحة التي لم يرها منذ سبعة سنوات بالرغم من أنه صديق زوجها ... كان صلاح يعتقد أنها تخشى مقابلته لأنها مازالت تحبه .

وجاء يوم الزفاف ...

يوم زفاف صلاح علي (درية)

ابنة أحد رجال الاقتصاد المعروفين والمشهورين ... كانت درية إنسانة رقيقة ... جميلة .. مهذبة ... كانت ذو شخصية جذابة .. قوية ...

كانت فتاة متأنقة .. عذبة .. بسيطة .

اختار صلاح درية أن تكون شريكة حياته لمعرفته لها ولوالده ولإعجابه بها واحترامه لشخصيتها ... كانت إنسانه غير مجادلة .. مطيعة بالرغم من نضوج فكرها وقوة إرادتها .

ومرت ثلاث سنوات علي زواج صلاح ودرية ... لم يري خلالهم سميحة ...

بل إنه كان يتخيلها علي وسادته الخالية في الغرفة التي أعدها لنفسه لينام وحده فيها في منزل الزوجية وكان كعادته يحتضن الوسادة كأنه يحتضن سميحة .

وخلال هذه السنوات وبالأخص في العام الثالث هذا حملت درية في طفلها

الأول ... وعند موعد الوضع دخلت درية المستشفي وهي تعاني من آلام حادة

ليست كآلام الوضع العادية وإنما هي آلام جعلتها تظن أن هذا أخر يوم لها

في الحياة ... ومما زادها اقتناع بهذا الخاطر هو إصرار الطبيب المعالج لها علي إجراء عملية جراحية لها ... وعندما سمع صلاح بهذا أصبح كالمجنون

يمشي بعصبية في ردهة المستشفي وأمام حجرة العمليات التي تحتوي زوجته وحبيبته .

نعم ... إنها حبيبته ... لقد اعترف بينه وبين نفسه الآن أنه أحب درية

كما لو لم يحب من قبل ... لقد اكتشف أن درية هي حبه الوحيد ... هي حبه الحقيقي ... أما سميحة فلم تزد عن كونها تجربة مرت به لتوضح له الفرق بين الوهم والحقيقة ... الخيال والواقع ... الفضة والذهب !!! .

وهنا نظر بعينيه إلي يده اليسرى ليري أنه مازال يلبس الدبلتين ... الدبلة الفضة الخاصة بسميحة ... والذهب الخاصة بدرية ...

تذكر كم كان أمر الدبلة الفضة مصدر إزعاج وقلق لدرية خلال سنوات زواجهما ولكنها كانت تأخذ الأمور دائما بمرونة وهدوء ... خلع صلاح من إصبعه هذه الدبلة الفضية والقي بها بعيد كأنه بذلك قد ألقي معها ذكريات الماضي الذي انقضي ... إنه لم يعد يفكر سوي في زوجته التي اكتشف أنه يحبها عندما أحس أنها ستضيع منه ... وخرج الطبيب من حجرة العمليات ليعلن له عن وفاة الجنين ونجاة الزوجة ... الأمر الذي أفرحه كثيرا وسره بشدة وأسعده للغاية ... إنها بخير ... سيعيشا سويا ...

سيتمتعا بحياة هانئة ومستقبل مشرق ... سينجبان الكثير من الأطفال ... عاد إلي بيته مرحا وعندما ذهب لينام علي فراشة نظر كعادته إلي الوسادة الخالية فوجد وجه درية هو الذي تراه عنياه ... وجد درية هي التي تملأ قلبه وذهنه وفكره ... فابتسم واحتضن الوسادة وضغطها إلي صدره ... ونام .

ولا يختلف الواقع كثيرا عن هذه الدراما الخيالية ... فالخيال هو مرآة الواقع ... ولا يسطر الكاتب سطرا واحدا لقصة في خياله إلا إذا كان رأي مثلها الكثير والكثير ... فحياتنا مليئة بقصص وحكايات واقعية عن الحب الأول ... فأذكر أنه منذ عهد قريب أن إحدى صديقاتي قد اجتمعت هي

وأحد زملاءنا علي حب كبير ـ أو هذا هو ما اعتقداه ـ فقد تعاهدا كل منهما أن يخلص لوليفة وأن يقدم رغباته علي نفسه ... اعتقدا أن بإمكان حبهما أن يصمد أمام المجتمع والناس والعادات والتقاليد والعرف والأصول ... لم يكنا ليتصورا أبدا أن حبهما لن يصمد أبدا أمام طباعهما هما وتغير مشاعرهما واختلاف أحاسيسهما .

وترجع وقائع هذه القصة منذ عامين مضت ـ أي في أول عام لنا في دراستنا الجامعية ... حيث دخلت صديقتي كلية الطب وزميلي هذا كان معي في كلية العلوم ... وبينما وأنا جالسة مع زملائي الجدد في الكلية فإذا بصديقتي هذه تأتي لي كالمعتاد حتى نعود إلي منازلنا معا ... وقبل أن ننصرف قمت بتقديمها إلي جميع زملائي وصافحها الجميع ثم مشينا ... وبعد مرور بضعة أيام علمت بمحض الصدفة أن زميلي المنشود يتردد كثيرا علي صديقتي في كليتها ... وظلا يتقابلان أياما طويلة وكل منهما يظن أنه لا هدف من مقابلته للأخر إلي أن جاء اليوم الموعود .. يوم أن أعترف بإعجابه بها منذ اللحظة الأولي التي رآها فيها ... كما اعترف أيضا أنها منذ هذه اللحظة لم تعد فتاة يشعر فقط بإعجابه بها بل إنها أصبحت هي أمله وكل ما يتمناه في الحياة ... اعترف أيضا بحبه الشديد لها وبتمسكه بها حتى آخر العمر ... لا أستطيع أن أقول أنه كان يلعب بها أو يشغل عواطفها لغرض خبيث في نفسه ... فقد كان في هذه الفترة من عمره يشعر ولأول مرة بخفقان القلب ... أحس وكأنه ملك منتصر قد حارب في مواقع عديدة ليفوز بقلب فتاته ... وحلم معها أحلام اليقظة ليعبر عن هذا شاعرنا العظيم (**فاروق جويدة**) في قوله :

لأني أحبك

تعالي أحبك قبل الرحيل

فما عاد في العمر غير القليل

أتينا الحياة بحلم بري

فغريد فينا زمان بخيل

حلمنا بأرض تلم الحيارى

رأينا الربيع بقايا رماد

حلمنا بنهر عشقناه حمرا

فحبك عندي ظلال ونيل

ومازلت كالسيف في كبريائي

يكبل حلمي عرين ذليل

ومازلت أعرف أين الأماني

وإن كان درب الأماني طويل

تعالي لنوقد في الليل نارا

ونصرخ في الصمت المستحيل

أحس معها بأنه رجل مسؤول عنها ... فكان بفكر ابن السابعة عشر يحاسبها علي كل تصرفاتها ... علي كل كلمة تصدر منها .. علي كل فعل تقوم به .. علي كل ضحكة .. وكل همسة .. وكل حركة ... أحس بأنه يغار عليها من النسيم الذي يداعب شعرها لأنه يفعل هذا وهو لا يستطيع ... كما أنه كان يغار عليها من أسرتها لأنهم يروها كل يوم أما هو فلا ... كان يغار عليها حتى من صديقاتها لأنهن عندما يردياها

فيجدنها أما هو فغير مسموح له بهذا .... أما الفتاة فقد كانت في غاية السعادة فهذا الشعور الجديد .. الجميل الذي يجتاح حياتها ... فبعد أن اعترف لها بحبه وإعجابه وتقديره لها قامت هي الأخرى بالاعتراف بإعجابها به منذ اللحظة الأولي التي وقعت عيناها عليه وكيف تطور هذا الإعجاب إلي انجذاب ومن ثم إلي حب متبادل ... والحق يقال أن حبهما كان من العفة والطهارة ما يجعلك تظن أنهما ملاكان متحابان وليسا بشرا

يعيشا معنا علي الأرض ... كان سمو مشاعرهما يعدو ويرتفع إلي مكانة سمو الروح

... كانا كأنهما يعيشان معا في الجنة تاركان الأرض بما عليها من فتنة وغيرة

وحسد وحقد .

كانت هذه الفتاه تحس وهي معه أنها ملكة قد توجها علي عرش قلبه ....

أحست ولأول مرة في حياتها بمعني الحب ... أشعرها بأنوثتها وجعلها ذلك

تحس بأنها أجمل أنسانه علي وجه الأرض ... وكانت هي الأخرى بسذاجة

عقل وفكر ابنة السابعة عشر ترسم بخيالها الجنة التي ستجمعهما معا ...

تخيلتها بستان أخضر كبير وهما الاثنان أزهاره ... وكانت تارة أخري تتخيل

نفسها الزهرة وهو البستان الذي يعتني بها ويرعاها ويهتم بها ... فأمست تقول :

ليتني زهرة مغروسة في فناء حديقتك

لكنت الآن أسعد زهرة... لأني سأحظى باهتمامك ورعايتك ليتني حرفا من حروف اسمك

ليتني كنت بريقا في عينيك ... لنري الأشياء الجميلة

ليتني كنت نبضة من نبضات قلبك

لكنت منحتك الأمان والحنان

وزرعت في قلبك الاطمئنان إلي كل ما هو جميل

لكنت زرعت الحب في قلبك ورويته من دمي

حتى أحصد اللهفة والأمان الذين أحتاج إليهم

ولكني أقول يا ليت ... وليتني ... وتراها كلها أمنيـــــــات

وعندما واجها سويا كلام من حولهما ... وتحدا في إصرار وعناد غمزات ولمزات الزملاء من حولهما ... ظنا أنهما بهذا قد رسيا بسفينة حبهما إلي بر الأمان ... وأن المواجهة والتحدي والعناد والإصرار هم الخطوة الأولي في طريق السعادة والذي ينتهي بالقصر العالي المبني علي أرض صلبة وأساس متين . ولكنهما أفاقا من الوهم الكبير ألا وهو حبهما ليصطدم بأرض الواقع ... وهو حقيقة هذا الحب ... ذلك الحب الواهي الذي صنعه الخيال فلم يكن حبا بل كانت الرغبة في الحب ... لقد رغبا الاثنان في الحب فهيأ لهما أنهما أحبا بعضهما ... أفاق الفتي علي حقيقة مشاعره المتقلبة الغير مستقرة .

والتي نتج عنها تخلخل تلك الأحاسيس التي يكنها لفتاته ... أما الفتاه فقد أدركت سريعا أنها كانت تعيش لا الحب بل وهم الحب مقلدة بذلك الكبار ....

أما قصرهما العالي فاكتشفا أنه لا أساس له وأنه قصر بني في الهواء ...صنعته الأوهام وشيده حلم الحب ... وتغير الحبيبان ليصبحا لا حبيبان .

... كل ما فيهما تغير ... مشاعرهما .. قلبيهما .. أفكارهما ..

وقال الشاعر :

حبيبتي ... تغيرنا

تغير كل ما فينا ... تغيرنا

تغير لون بشرتنا

تساقط زهر روضتنا

تهاوي سحر ماضينا

تغير كل ما فينا ... تغيرنا

زمان كان يسعدنا ... نراه الآن يشقينا

وحب عاش في دمنا تسرب بين أيدينا

وشوق كان يحملنا فتسكرنا ... أمانينا

ولحن كان يبعثنا إذا ماتت ... أغانينا

تغيرنا ... تغير كل ما فينا

وليس معني التغير أنهما كرها بعض ... بل إنهما علي العكس من هذا تماما ... فبعد أن انفصلا عن بعضهما البعض بهدوء مثلما أحبا بعض بهدوء في البداية ظلا كل منهما يحترم في نفسه ذكري قصة حبهما اللاتي أعطاها الكثير وعلمتهما الأكثر... ظلت في ذاكرة كل منهم ذكري حبهما الأول ... ظلت تلك المشاعر البريئة الرقيقة الطاهرة العفيفة تحوم حول قلبيهما ليتذكر كل منهما أن الحب سمو في المشاعر ورقي في الإحساس وتهذيب لكل غريزة ... إن ذكري حبهما الأول ستظل دائما نصب أعينهما لتكون هي الفنارة التي ترشدهما دائما إلي طريق الفضيلة ... وستظل دائما ذكري الحب الأول هو الدرس الذي يتعلمان منه كيف

يحبا حبا حقيقيا .. طاهرا .. ملائكيا .

(٣)

لا أستطيع أن أقول أن جميع حالات الحب الأول هي حالات فاشلة لأن القليل منها يستطيع الصمود والنجاح والوصول إلي بر الأمان ... ولكن هذا يستلزم شروطا خاصة يجب أن تتوافر في الطرفين حتى ينجح هذا الحب ... وهذه الشروط الخاصة تتمثل في :

١ـ وجود نضوج فكري بين الطرفين يمكنهما من التقارب ومزح أفكارهما .

٢ـ أن يكون عمر كل منهما مناسب لفهم المعني الحقيقي للحب . أي أنهما يكونا قد تخطيا سن المراهقة حتى يستطيعا التعامل مع الأمور بمرونة وموضوعية.

٣ـ أن يكون هناك تقارب اجتماعي بين الطرفين ـ حيث أنه لا يجوز أن تتزوج بنت السلطان من شاب فقير أو العكس حتى وإن كان الحب متوافر لأنه في هذه الحالة تكون الرغبة هي المتواجدة وليس الحب ... وينتهي في هذه الحالة الإحساس بالحب بمجرد إشباع هذه الرغبة .

٤ـ ويعتبر التقارب الثقافي من أهم الأركان اللازم توافرها لكي ينجح الحب .

وهذه الشروط وغيرها إذا توافرت في الطرفين المتحابين نجح الحب وتوج بزواج ناجح ... سعيد ... دائم حتى آخر العمر .

وقد ناقشت الدراما المصرية موضوع

" الحب الأول الناجح "

وكيف أنه يبقي ويدوم حتى نهاية العمر ... كيف أنه يعيش في وجدان الإنسان ليمده بالحياة ... كيف أنه يجري في أوصال الإنسان مجري الدم فيمده بالطاقة والقوة والحيوية ... كيف أنه يكون الشمعة المضيئة التي تهدي الحبيب في ظلمة الحياة ... دنيا الحب ... حيث يشعر الحبيب فيها بأنه كالملك المتوج ... يملك شجاعة الأسد .. وحكمة السلاطين ... له قلب شجاع جسور مع إنه قلب شاعر يقول :

لا تنظري للأرض في دورانها

فالنبض فيها ... حائر الأنفاس

والحب يا دنياي أصبح بدعة

وغدا رفاتا ... خلق الإحساس

ولقد عرفت الحب فيك هداية

هيا نعلم حبنا ... للناس

هيا لنغرس في الدروب زهورنا

هيا لنوقد في الظلام شموعنا

يا واحة الأيام في الزمن الشقي

إلي أحسن إلي هواك كطائر

يهفو إلي العش البعيد

وغدا سيأتي بعدنا الأمل الجديد

أنا حائر بين الضلال

لا تتركيني في خريف العمر تقتلني ... الظلال

فأنا عبدت الله في عينيك يا نبع ... الجمال

ولا نستطيع أن ننسي قصة الحب الخالدة التي نشأت بين (أحمد ... ومني) في رواية :

" أغلي من حياتي "

... حيث نشأ كل من أحمد ومني بلدتهما (مرسي مطروح) التي كانت في ذلك الوقت بلدة صغيرة ... يعرف أهلها بعضهم البعض ... تربيا كل من أحمد ومني معا ... نشأ نشأة واحدة .. كانت لهما نفس الأفكار .. نفس الأمنيات .. نفس الأحلام ... وعندما شبا كل منهما عن الطوق بدا يحسا إحساس غريب تجاه بعضهما البعض ... فأحمد أصبح يري مني ليست تلك البنت الصغيرة التي تلعب مع من هم في مثل عمرها بل أنه أصبح يراها مني الفتاة الجميلة ... التي يتمناها كل شاب في بلدته ... كانت في نظره مثل العصفور الجميل .. الرقيق .. المنطلق في عنان السماء .. غير أنه بعيون كل الصيادين اللذين يحومون حوله ...ولا يشغل بال هذا العصفور سوي صياد واحد ... نعم .. كان هناك شخص واحد هو الذي يهم مني ويشغل بالها دائما ... شخص واحد فقط هو الذي أشعرها بأنوثتها وجملها ورقتها .. وكان أحمد هو الإنسان الذي كان يملأ خيالها ووجدانها وأحبته دائما ولكنها كانت كباقي بنات الشرق تحكمها العادات والتقاليد لا تستطيع أن تتكلم .. ولكن عيناها تحررت من كل هذه العادات والتقاليد السخيفة .. نعم .. تحررت لتتكلم ... بل لتفصح عن مشاعرها .. تلك المشاعر التي سكنت قلبها وملأت عقلها ... إن أول لقاء لها مع أحمد لن تستطيع أن تنساه أبدا طوال حياتها ... يوم أن التقيا لأول مرة وحدهما فوق جبلهما الخالد في قرية علم الروم ـ حاليا ـ ...يومها كانت الدنيا كلها ترقص من حول مني أما أحمد فقد كانت الفرحة التي تملأ عقله وقلبه تكفي لأن تجعل الكون كله سعيد .. فرحان ... وتعددت لقاء تهما وتعاهدا معا علي الإخلاص والوفاء مهما طال بهما العمر ...

وتمر الأيام ويتخرج أحمد في كلية الهندسة ويصبح مهندسا وتلحق به مني وتتخرج هي الأخرى من كلية التربية وتصبح مدرسة ... كان كل يوم يمر عليهما يقربهما من بعضهما البعض ويزيد من وثاق الحب والارتباط بينهما ... كانت كل ليلة تمر علي أحمد كان يحلم فيها باللحظة التي سيضمه هو ومني بيت واحد ... بيت يمتزج فيه الواقع بالخيال ... بيت أساسه الحب والعقل .. بيت يشعر فيه معها بالدف والاستقرار ... ويصحو أحمد من أحلامه ليصطدم بالواقع ... لقد خطبت مني ... خطبت لغيره ... لن تصبح مني له ... لماذا يقسو القدر هكذا علي الإنسان ؟! .. لماذا يجعله يحب طالما أنه لا أمل أبدا من هذا الحب ؟! .. وقتها كره أحمد الحياة .. كره الناس .. كره نفسه .. لكنه لم يستطع أن يكره مني ... ولا أن يكره ذلك الجبل الذي كان شاهدا علي حبها ... إنه يذهب إليه الآن ولكن وحيدا ليكون شاهدا أيضا علي لوعة الفراق ... كان كل يوم يمر ومني ليست معه بمثابة دهرا كاملا من الألم والمعاناة التي لا يقوي عليها ...

كان يشعر ومني ليست معه بأنه أصبح إنسان بلا إنسان ... وكان ينظر للبحر في تعاسة وكأنه يقول :

يا بحر جئتك حائر الوجدان
أشكو جفاء الدهر للإنسان
يا بحر خاصمني الزمان وإنني
ما عدت أعرف في الحياة مكاني
كم عانقتني في رما لك أنجم
كم داعبت بالأمنيات لساني
واليوم جئتك والهموم كأنها

شبح يطارد مهجتي وكياني

ما أتعس الدنيا بغير أماني

يا بحر أسكرني الزمان بخمرة

مغشوشة عصفت بكل كياني

كم خادعتني في الظلام ظلالها

ما كنت أحسب ذات يوم أنني

سأصير أغنية بغير معاني

ما كنت أحسب ذات يوم أنني

سأصير إنسانا .. بلا إنسان

اختار أحمد أن يبتعد عله ينسي ... ولكن .. ماذا ينسي ؟! ... أينسي بسهولة هكذا أيام طفولته وشبابه ؟!... أينسي حبه ؟!! هذا الحب الأول الذي أعطاه الكثير وعلمه أيضا الكثير ... هذا الحب الذي تعلم منه كيف تكون السعادة ... كيف تكون الحياة ...

إن الحياة الآن أصبحت لا معني لها بعد غروب مني عنها ... إنه لن يستطيع أن يعيش في هذه البلدة دون مني . واختار يوم عقد القران ليغادر من حياة مني مثلما ستفعل هي وتغادر من حياته ... ولكن في العجلة الندامة دائما ... ليته انتظر قليلا !!

فقد رفضت مني أن تتزوج من رجل أخر غير أحمد ... وتركت منزل أهلها وأرادت أن تلحق به ... ولكن هيهات ... لقد رحل قبل وصولها بدقائق معدودة ... رحل وتركها وحيدة ... تتلوع بقسوة قدرها ... وتحترق من نار الفراق ... إن البلدة أصبحت لا تطاق من دون أحمد ... لقد فقد كل ركن في هذه البلدة معناه ... فقدت معني الحب ... فقدت معني الحياة ... إنها لن تستطيع أن تستمر في هذه البلدة من دونه ... ورحلت هي الأخرى ... غادرت بلدتها وسافرت إلي القاهرة لتبدأ حياة جديدة

.. حياة من دون حب ... حياة من دون حياة ... وتمر السنين عليها وهي علي نفس الوتيرة ... تذهب إلي عملها في المدرسة صباحا ثم تجلس تسترجع ذكرياتها مساءا ..وفي يوم من الأيام وبينما وهي تتصفح الجريدة فإذا بها تري صورته ... نعم إنها صورة أحمد ... لا يمكن أبدا أن تخطئها حتى بعد مرور عشر سنوات علي آخر لقاء لهما معا ... إن ما قرأته تحت الصورة قد أسعدها وأحزنها في نفس الوقت ... أسعدها أنها علمت أنه قد عاد أخيرا إلي مصر بعد أن ظل في الخارج ما يقرب من عشر سنوات .. إن هذا الخبر المكتوب تحت الصورة يؤكد أن أحمد أصبح من أهم رجال

الأعمال في مصر والخارج ... ولكن ما أحزنها أنه لم يعود وحيدا .. بل عاد ومعه أطفاله وبجواره زوجته ... لقد تزوج ونسيها ... نسي أيام حبهما ... نسي العهد الذي قطعاه سويا علي جبل حبهما في مطروح ... يجب أن تنساه ... وتنسي أيام حبهما كما فعل هو ونسيها ... وتمر الأيام ... ولم تستطع أن تنسي ... ولم يكن بمقدورها أن تفي بالعهد الذي قطعته علي نفسها ... لم تستطع أن تنسي أبدا حبها لأحمد ... ولكن لا أمل لهما معا الآن ... إن لديه حياته وأسرته ... زوجته الجميلة ... وطفله الصغير ... وطفلته الرقيقة ... وفي أحد الأيام وبينما وهي تتسوق فإذا بها تقف مدهوشة لمن تراه في بادئ الأمر لم تصدق عيناها وظنت أنها أوهام وخيالات ... ولكنها في آخر الأمر اضطررت أن تصدق ما تراه حينما سمعته ينطق بحروف اسمها " مني " ....إنه أحمد ... مازال يذكرها حتى بعد مرور كل هذه السنوات الطويلة ... مازال قلبه يخفق بشدة حينما يراها أمامه ... ظل ينظر إليها نظرة صامته بعيناه ... نظرة تحمل في طياتها كل معاني الحب والوفاء اللذان تعاهدا عليه علي جبل حبهما ... تحسس أحمد يديها وبعد أن اطمأن أنهما خاليتين من أي دبلة أخذها وسارا بسيارته في طريق طويل لا يعرفان له نهاية ... قصت عليه حكايتها ومدي المعاناة التي عانتها من بعده ... أما هو فقد قص عليها قصة زواجه من زوجته الحالية

وكيف أنها هي ووالدها كانا ذو فضل عليه لما وصل إليه من نجاح وشهرة وأنه بزواجه منها يكون قد رد إليهما

المعروف الكبير الذي صنعته هي ووالدها فيه ... ثم عقب أنه أنجب ولدان منها ..ابنه الكبير (عادل) وابنته الصغرى (مني) ... إنه مازال يحبها ... حتى بعد مرور كل هذه السنوات ... حتى بعد زواجه من امرأة أخرى .... إن مني ستظل دوما هي حبه الأول .. هي حبه الوحيد ... ولم يقبل كل منهما أن يصبحا لعبة في يد القدر مرة أخرى ... يجب عليهما أن يقررا مصيرهما بأيديهما ... يجب عليهما أن يحددا شكل المستقبل الذي يجب أن يعيشاه سويا ... لقد اعتبر أحمد أن لقاءه بمني بعد كل هذه السنوات هو تعويض من الزمان علي زواجه الأول الذي تم من دون حب يرعاه ...

أما مني فقد اعتبرت لقاءها بأحمد هو بمثابة اعتذار لها من القدر والظروف اللاتي شتتهما إنه تعويض لها عن كل سنوات عمرها التي ضاعت في الانتظار ... و لكن الآن لا مزيد من الألم والشقاء ... لا مزيد من الحزن والدموع ... لا مزيد من الانتظار ... لا مزيد من الاحتراق بنار الفرقة ... بل إنه يوجد الآن المزيد من السعادة والهناء ... المزيد من الضحك والابتسامات ... المزيد من الحب .. من العشق ... وأخيرا .. وبعد مرور عشر سنوات علي آخر لقاء لهما معا ... هم الآن معا للأبد ... يجمعهما بيت واحد كزوج وزوجة يعرفان معني السعادة والحب ... إن الحب الذي جمع الله به بين قلبيهما لن ينصب أو يضعف ... بل إن كل يوم يمر عليه يزداد قوة وصلابة تقربهما من بعضهم البعض أكثر وأكثر ... وتمر خمسة عشر عاما علي أنجح زواج يمر في تاريخ العشاق ... خمسة عشر عاما مرت عليهما كحلم جميل استيقظت منه مني لتجد نفسها أرملة ... نعم لقد أصبحت أرملة بعد أن مات أحمد اثر أزمة قلبية مرت به ... مات بعد أن أوصي ابنه عادل أن يهتم بوالدته وأيضا بمني الصغيرة ومني الكبيرة ... وقد نفذ عادل وصية والده واهتم بهن جميعا لأنه كان يعلم مقدار كل واحدة منهن في نفس والده .

وأقول أيضا أن الدراما الخيالية ما هي إلا مرآة للواقع الذي نعيشه ... ففي حياتنا توجد الكثير من قصص الحب الأول الذي ينجح وينعم أصحابه بالسعادة والهناء فلا أستطيع أبدا أن أنسي تلك الفتاة (أحلام) وحبيبها (محسن) ... لقد كانت قصة حب رائعة بكل ما في الكلمة من معاني ... لقد أثبتا أن الحب هو تلك القبلات التي يتبادلها قلبان ... هي تلك المعانقات التي تعانقها روحان ... إن الحب هو السحر الذي يتخطى كل الأسوار فلا قضبان تحجزه خلفها .. لقد آمن هذان العاشقان بالحب فآمنا بالحياة ... وقد تحديا بحبهما القدر و الدنيا فسخراها لهما ... لا شيي في الدنيا استطاع أن يبعدهما عن حبهما ... عن قدرهما المحتوم معا ... فلا أستطيع أبدا أن أنسي يوم زفاف أحلام من ذلك الرجل الثري الذي كان يكبرها بعشرون عاما والذي اختاره لها والدها ظنا منه أنه وبثراءة الواسع سيكون هو السبب في إدخال السعادة والبهجة في حياة أحلام بعد سنوات الشقاء والتعب التي عانتهما منذ الصغر ... لم يكن الأب يعلم أن أحلام تعيش فعلا في دنيا السعادة وفي جو من البهجة والمرح لا بفضل المال بل بفضل الحب ... الحب الذي طرق باب قلبها ففتحت لتجد محسن فتي أحلامها يقف منتظرا إذنا بالدخول ... الحب الذي جعلها تشعر بأهمية حياتها فحافظت عليها كأنها ليست ملكها بل أمانة أودعها محسن إليها وأمرها بالحفاظ عليها ... أحلام الفتاة الرقيقة ... الجميلة ... المرحة ... ستتزوج ... ولكن !! .. ممن ؟! من رجل .. أي رجل .. غير محسن ... حبيبها كل من كان يري أحلام في هذه الليلة لم يكن يصدق أبدا أنها تحتفل بعرسها ... فجمود وجهها وحزن عيناها وتصلب أطرافها كانت كلها مظاهر تعبر عمن يقرب من الموت ... لقد كانت تعتبر أن كل دقيقة تمر تقربها من العريس الجديد وتبعدها عن محسن هي الموت ... نعم إن البعد عن محسن هو الموت بعينيه ... ويمر علي زواجها عامان تموت في كل يوم فيهما ألاف المرات فشعورها بالذنب لا يفارقها دائما ... إنها تشعر بذنب كبير تجاه زوجها ... ذلك الزوج العطوف الحنون الذي يحبها بكل كيانه ووجدانه ...

ذلك الزوج الذي يعتبر أن سعادتها هي أسمي غاياته وأغلي أهدافه ... إنها لا تستطيع أن تخلص له كليا بالرغم من إخلاص جسدها له إلا أن روحها وقلبها لا يستطيعان أن يخلصا له وبالرغم من إنه كان يشعر بذلك مع كل يوم يقضيه معها إلا أنه ظل صامتا صابرا علها تحبه في أحد الأيام ... وتمر الأيام ولا تغير ... تمر الأيام عليها بطيئة .. كئيبة .. باردة ... لم تعد تشعر بالدف الذي كان يهون عليها صلابة أيامها وفقر عيشها ... إن الحياة بغير حب هي بمثابة شتاء دائم تراكم فيه الجليد لتصبح غير قابلة للعيش والحياة فيها ... إن الحياة بدون حب تعني الحياة بدون حياة ... أما شعورها بالذنب تجاه محسن كان بمثابة الجرح الدافئ الذي لا يندمل أبدا بمرور الأيام وسيظل ينزف وينزف إلي أن يقضي عليها تماما ... كيف استطاعت أن تكون لأحد آخر غير محسن ... ... محسن ذلك الشاب الذي يمثل حبها الأول ... ذلك الشاب الذي تعلمت منه الكثير وعلمته الكثير ... تعلمت منه كيف يكون الحب ... كيف أن الحب مسؤولية مشتركة بين اثنين لهما روح واحدة في جسدين ... تعلمت كيف أن الحب يجتاز حاجز الرهبة والمادة ... تعلمت كيف تشعل نفسها في نيران الحب حتى وإن كان الحب وسط الجليد ... أما هو فقد تعلم علي يديها أن الحب هو موجود معنا وبنا ... أن الحب هو الشي الوحيد الذي نحيا به وله ... تعلم أنه لا شيي يمكن أن يبعده عن الحب ... تعلم أن من يتخلى عن حبه يكون بذلك قد تخلي عن آدميته ولم يعتل حتى إلي مرتبة الحيوان ... كان محسن يتمني لو لم يفارقها أبدا فقد كان يقول :

ليتني ما كنت إلا بسمة تلهو بثغرك

ليتني ما كنت إلا راهبا في نور قدسك

أنشر الأزهار حولك

أجعل الدنيا رحيقا يحمل الأشواق نحوك

أجعل الأيام طيفا هادئا يهفو ... لظلك

ليتني طفل صغير يحتمي في ظل صدرك

وحتى بعد مرور عامين علي زواج أحلام لم يستطع أن ينساها أو ينسي حبه لها ... لم يستطع أن يمنعها من زياراتها اليومية والمتكررة له في أحلامه ... لم يستطع أن يمنع عقله من التفكير فيها أو يمنع قلبه من الانشغال عليها ... حاول كثيرا أن يستعيد نفسه بدونها وأن يعيش حياته في صورة طبيعية وأن يتزوج ولكنه يكتشف أن أحلام جزء منه وكيانه لا يكتمل من دونها ....أما بالنسبة للزواج فإنه في كل مرة كان يري فيها فتاة كان قلبه يعقد مقارنة سريعة بينها وبين أحلام قلبه فيجد أنه يوجد فارق كبير بين أحلام وبين كل الفتيات الأخريات ... فمع أي فتاة أخرى لم يشعر بتلك الخفقة التي خفقها قلبه لأول مرة مع أحلام ... إنه يحبها ... بل يعشقها ... إنه يعرف كم الضغط الذي وقع عليها حتى تتزوج من ذلك الشيخ الثري ... إنه لا يلومها ... ولا يلوم القدر و الظروف ... بل يلوم نفسه لأنه لم يستطع الحفاظ عليها ... كم كان متأكدا من حبها له ... وكم هو مطمئن أن الحب الذي جمع بين قلبيهما لن يزول ولن يفني ... إنه متأكد من أنها لا تزال تذكره ... كم أنه مازال يذكرها :

ونظرت نحوك والحنين يشدني
والذكريات الحائرات .. تهزني
ودموع ماضينا تعود .. تلومني
أتراك تذكرها وتعرف صوتها
قد كان أعذب ما سمعت من الحياة ..
قد كان أول خيط صبح أشرقت
في عمرك الحيران دنيا من فياه

آه من العمر الذي يمضي بنا

ويظل تحملنا خطاه

ونعيش نحفر في الرمال عهودنا

حتى يجئ الموج تصرعها يداه ...

لقد كان محسن يتابع من بعيد حياة أحلام ... بالرغم من أنه يري أن زواج أحلام مستقر وهادئ فقد كان متأكدا أنها تحبه .. تحبه بشدة .. تحبه بعمق .....

وبالفعل كان حدثه صحيحا ... بالرغم من الحب والحنان الذي كان يغدق علي أحلام من زوجها إلا أن قلبها لا يزال متعلقا بحبيبها الأول محسن ... كانت لا تزال تخلص له بقلبها ... ويمر يوم بعد الأخر وتتأكد شكوك الزوج ... إن زوجته لا تحبه ... إنها تحترمه ولكن لا تحبه ... وأخيرا قرر مصارحة زوجته التي لم تجب إنها لم تستطع نفي أي مما قاله ثم قصت عليه كل شيي ... بالرغم من الجرح الذي شعر به في قلبه إلا أن هذا لم يمنعه من أن يحترمها ... يحترم إخلاصها له وإخلاصها لذكري حبها الأول والوحيد ... احترم فيها احترامها له ... احترم فيها شجاعتها ونبل أخلاقها ... وقد كان الرجل هو الأخر مثال للشهامة ونبل الأخلاق فلم يرد أن يكون مثل القدر قاسيا وظالما ... بل كان كريما ونبيلا ... لقد طلقها في هدوء مثلما تزوجها في هدوء .... طلقها بعد أن أعطاها كل حقوقها الشرعية منه ... وتمني لها أن تنعم بالحب والسعادة والهناء مع من تحب ... وهكذا ذاب الجليد ... وعاد العاشقان إلي بعضهما البعض ليعيشا في ظل السعادة ويسبحا سويا في بحر الحب الدافئ .

(٤)

سؤال دائما ما يفرض نفسه عندما نتكلم عن الحب ... ما هو الحب ؟!!

... ما هو ذلك المسمي الذي نشعر به تجاه شخص آخر ؟!!

بحثت كثيرا لأجد إجابة لهذا السؤال المحير وأخيرا حصلت علي عدة إجابات هي كالتالي :

- إنها تلك الكلمة التي يخرجها حبيبي من بين شفتيه لأجد نفسي ذائبة تماما بين كلماته الجميلة وهمساته الرقيقة .

وفتاة أخرى تقول : * إنها تلك الآهة الداخلية التي أطلقها عند رؤيتي لمن أحب .

وأيضا فتاة كان لها هذا الرأي :

إنها دقات القلب المتسارعة

كلما رأيت المحبوب ... تلك الدقات التي طالما تنادي باسمه ، وتحرص علي وجوده دائما بداخلها .

أما الشباب ـ الفتيان ـ فقد كانت آراءهم علي النحو التالي :

- امرأة بلا حب ينقصها امرأة .

وشاب آخر كان رأيه : * المرأة تعيش لكي تحب أما الرجل فهو يحب حتى يعيش .

إن الإجابات السابقة عن الحب هي إجابات مجزئة ... لا تشمل المعني الكامل للحب .

إن الحب ليس مجرد كلمة .. أو همسة .. أو لمسة ... إنه شعور أعمق من تلك التنهيدة التي تطلقها زميلتي عند رؤيتها لحبيبها ... إنه الصمت الذي يفوق الكلام عندما نتحدث به .

...إنه الوجود الكامل والتام للحبيبين ... فأنا أحب ... إذن أنا موجود . لقد سمعت ذات مرة من إحدى الممثلات وكان اسمها (كاريمان) في فيلم عربي أن الحب هو الصاعقة ... وقد أعجبني جدا هذا التشبيه ...فهذه الكلمة الصغيرة قد صورت في بساطة معني الحب . الحب ... الصاعقة يأتيان دائما في غفلة من الإنسان ... وعلي غير موعد منه . وأقول أيضا أن لكل رأيه في الحب ... فأنا أقول أن الحب مسؤولية ووعي وإدراك .. الحب خطوات ثابتة وواعية ... الحب الحياة .. ولا حياة لنا بغير حب ...أما الشعراء فقد كان الحب هو المحرك الأساسي لهم في كل حياتهم ... هو الملهم الذي يستوحي منه أفكاره ومشاعره .. فنراه يقول :

لا تنظري للأرض في دورانها

فالنبض فيها حائر الأنفاس

والحب يا دنياي أصبح بدعة

وغدا رفاتا ... فاقد الإحساس

ولقد عرفت الحب فيك هداية

هيا نعلم حبنا للنـــــاس

والسؤال الآتي هو : ما الفرق إذن بين الحب والحب الأول ؟!

<u>جاءتني إجابة تقول : لا فرق .</u>

- إنني أعتبرها إجابة خاطئة تماما ... حيث أن الفرق بين الحب والحب الأول كفرق السماء من الأرض .

. إن الحب هي مشاعر نبيلة تحتاج حياة الإنسان وتدق علي أوتار قلبه ثم يتفاعل معها وجدان الإنسان وحياته لتخلق له دنيا السعادة والأمل والنجاح .

أما الحب الأول فهي مشاعر رقيقة نبيلة يسعى إليها الشاب أو الفتاة ... ليسا ليعيشا مشاعر الحب الدافئة ـ كما هو الظاهر ـ وإنما ليحقق كل منهما ذاته فيه ... فالشاب يريد أن يشعر أنه أصبح رجلا مسؤولا عليه مستلزمات ومتطلبات . لم يعد ذلك الفتي الصغير الذي تدللة أمه وتداعبه حتى تحصل علي ابتسامه صغيرة منه ...أما الفتاة فهي أيضا تريد أن تشعر أنها قد كبرت ونضجت ، هناك من يحسسها بجمالها ورقتها وعذوبتها وأنوثتها وأنها لم تعد تلك الطفلة الصغيرة التي يخاف عليها أهلها من كل من يقترب منها .

- إن الحب هو المواجهة ... أما الحب الأول فهو هروب .
- إن الحب هو المقاومة ... أما الحب الأول فهو الاستسلام .
- إن الحب هو الحقيقة ... أما الحب الأول فهو الوهم .

إنني أتصور أن الفرق بين الحب والحب الأول هو بالضبط مثل الفرق بين رجل ناضج في الثلاثين من عمره وشاب في الخامسة عشر ... الأول ـ أي الحب ـ هادئ وواضح وفيه قدر كبير جدا من التعقل والحكمة ... أما الثاني ـ أي الحب الأول ـ فهو مجنون .. غامض .. يجتاح القلب بلا تريث ولا هوادة .

ولا ألوم الحب الأول في شيي لأنها مشاعر رقيقة مثلها مثل الحب الحقيقي ... مشاعر تكسب الإنسان الخبرة اللازمة في أمور الحب وتعرفه الفرق بين الحقيقة والخيال .. الواقع والوهم ... ولكن اللوم كله يقع علي الأسلوب المتبع في ممارسة هذا النوع من الحب ...

فما تراه الآن لا تستطيع أن نطلق عليه حب .. بل إنه نوع من أنواع إهدار الكرامة ... لأنه حتى وإن تواجد حبا بين الطرفين فهذا لا يعطي الحق للشاب في أن يمسك يد فتاته أو أن يداعب بيده خصلات شعرها أو يقبلها ... وأيضا هذا الحب لا يعطي للفتاة الحق أن تلمس بيدها أي جزء من أجزاء وجهه أو أن تضع رأسها علي صدره ... إن كل هذه الأفعال تفقد الحب معناه وتبرد المشاعر والأحاسيس لدي الطرفين وتفقد الإنسان احترامه لذاته ومن معه ... كما أنها تعمل علي إخماد نار المشاعر الحسية لتشتعل بدلا منها الرغبات المادية والتي تشكل خطرا اجتماعيا كبيرا ليس علي الفتاة فحسب ولكن أيضا علي الشاب ... ولكن إن أتبع الأسلوب الصحيح في ممارسة هذا النوع من الحب فإنها ستصبح ذكري عطرة يفخر الإنسان بها وتظل نصب عينيه يتعلم منها الكثير ... ولا يخشى علي أولاده من تكرار تجربة مثلها بريئة .. طاهرة .. ملائكية ...

وأتذكر أنني في مرة عرفت الفرق بين الحب الأول والحب الحقيقي عندما كنت عند إحدى صديقاتي وتدعي (عبير) ... عرفت من أبيها كيف أن الحب الأول هو ضعف وخوف أما الحب الحقيقي فهو الشجاعة والمواجهة ... إنه لا يخشى علي ا بنته من أن تمر بتجربة الحب الأول لأنه علي يقين من أن هذه التجربة سوف تعلمها الكثير سواءا أن انتهت بالنجاح أو الفشل ... سوف تتعلم أن الحب هو الكرامة والعزة بالنفس ... سوف تتعلم أن الحب هو الكبرياء ... إن الحب هو الرقي والسمو بشرط أن تكون قصة حب نظيفة طاهرة كالتي مر بها ... ومن درجة نقاءها احتار وتساءل : تري ... حبيبتي ... من تكون ؟!!

وبالفعل .. وبينما أنا وعبير نراقبه من بعيد فإذا به يجلس وحده علي الأريكة بالقرب من المدفأة حيث كان في نصف يناير يطالع ألبوم الصور الذي أخذه من المكتبة خاصته .

فها هي صورته عندما كان طفلا رضيعا ... صورة تظهر فيها البراءة والشفافية والرقة دون أي نفاق أو رتوش زائفة ، ثم يقلب بين صفحات ليكشف عن صورة له في سن الحادية عشر يظهر فيها بالزي المدرسي ... ذكرته الصورة بالمدرسة والمدرسين وزملاء الدراسة حيث لا هموم .. لا مشاكل .. لا متاعب .

ثم قلب صفحات الألبوم مرة أخرى ليري صورتها .. إنها نورا .. زميلته الجامعية التي أحبها كثيرا في صمت ... تري أين هي الآن ؟! وماذا فعل بها الزمان ؟!! .. وكانت إلي جوار صورة نوار كانت تقطن صورة سلوى أو

(سمسمة) كما كان يناديها .. إنها زوجته الأولي والوحيدة ـ رحمها الله ـ

لأول مرة ينتبه أنه وضع الصورتان بجوار بعضهما البعض وأخذ يتساءل عن مقصده من ذلك .... هل هو لعقد مقارنه بينهما ؟!! بالطبع لا فالأولي أحبها أيام الجامعة ... لفت نظره إليها جمالها ورقتها وثقافتها ... كانت جميلة بكل ما في الكلمة من معاني .. أحبها في صمت جميل كان كل همه أن يكون فقط قريب منها ...

ولكن أين هي ؟!! ... لقد اختفت قبل أن يصرح لها بحبه قيل أنها انتقلت من المحافظة ... وقيل إنها تزوجت ... وتاهت الحقيقة ... وحتى الآن هو لا يعرف عنها شيي ... وكل ما تبقي منها ذكري عطرة جميلة تملأ ذهنه وصورة رقيقة تملأ ألبومه .

أما الثانية فهي زوجته ... رفيقة رحلة حياته ... حبيبته الباقية فقد تعرف عليها من خلال الأسرة .. وكانت فتاة رقيقة .. خجولة .. مطيعة .. قوية الشخصية ... أصغر منه سنا ... تعرف عليها وتزوجها سريعا ... واكتشف من معاشرتها الطيبة وطبعها الهادئ أنها ملاك ذو قلب من ذهب ...

ولكن أين هي ؟! .. لقد وراها التراب بعد حياة زوجية سعيدة استمرت خمسة عشر عاما ... تاركة له ابنه جميلة كان عمرها ثلاث أعوام أخذ ينظر إلي الصورتين المتجاورتين وهو يتساءل ...

حبيبتي ... من تكون ؟!!

وأخذ يقلب صفحات الألبوم ليكشف عن حبيبته .. إنها عبير ... ابنته ذات الثلاث والعشرون ربيعا الآن .

* * * * *

حب في مهب الريح

سؤال ضروري وهام كثير ما يتبادر إلي أذهاننا ألا وهو ... تري ما هو ذلك الحب الذي يكون حبا في مهب الريح ؟!!

هل هو الحب الأول ؟ هل هو الحب الحقيقي؟

إنني لا أدري تماما ....

ولكن كل ما أعرفه أن الحب الصادق هو الحب الذي يستطيع مواجهة الكون كله . فالحب .. مثله مثل الطفل الصغير ... يحتاج إلي الرعاية والحنان ثم التقويم الصحيح حتى يصبح حبا يضرب به الأمثال ... ومفخرة لعاشقانه . وأيضا الحب ... مثله مثل النبتة الصغيرة ... تحتاج إلي الرعاية والاهتمام والتهذيب ... تحتاج إلي الارتواء بالماء ... حتى تكبر وتصبح شجرة كبيرة تظل بفروعها علي المحبين في كل مكان وزمان . والسؤال الذي يفرض نفسه علينا الآن ...

كيف يستطيع الإنسان أن يفرق بين الحب ووهم الحب؟!! ... في الحقيقة لا توجد معايير لهذه المقارنة ... فالإنسان حين يحب لا يعرف هل هو حب حقيقي أم وهم سعيد يعيشه ... وللأسف أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي لا يمكن عمل دارسات معيارية عليه ... لأن لكل إنسان أفكاره وطموحاته وشخصيته المستقلة .

وأتذكر أنه حتى في روايات الأدب العالمي ... لم يكن يتم التفريق بين الحب ووهم الحب إلا من خلال التجربة والمعايشة للأحداث .

فعلي سبيل المثال في رواية " لمن ترف الجفون " للكاتبة الإنجليزية الشهيرة (**شارلوت لامب**) نجد أن الفتاة (لورا) كانت تعيش قصة حب مع جارها الفقير ذلك الطبيب الشاب (توم) الذي وهب كل حياته للأعمال الخيرية ... كانت تحب فيه شهامته .. وطيبته .. وحسن أخلاقه ... كانت تحس بالسعادة الكاملة وهي تستمع إليه وإلي مخططاته المستقبلية في سبيل إسعاد الفقراء في كل العالم ... وكانت وبينما تمشي هي وصديقة لها تسكن معها في نفس الحي فإذا بمجموعة من الشباب والفتيات يركبون سيارة فخمة يقطعون عليهما الطريق ويطالبون صديقة لورا بان تعطيهم الوشاح القطني الذي ترتديه مبررين هذا بأنه جزء من لعبة يلعبونها ... وكانت بالطبع قد فزعت الفتاتين من هؤلاء الشباب وخاصة لورا التي رجعت بظهرها إلي الوراء لتصطدم بعد خطوتين بعمود الإنارة الذي جعل وجهها واضحا لكل من في السيارة فتسمرت مكانها ولم تقوي علي أن تفعل أي شيئ أخر سوي أن تظل واقفة في مكانها ... وفي هذه الأثناء خرج شاب من السيارة يبدو عليه الأناقة والوسامة فنهر كل من في السيارة علي فعلتهم ثم تقدم بخطوات ثابتة نحو صديقة لورا واعتذر لها ... ثم توجه إلي لورا واعتذر لها هي الأخرى ثم علق أن فتاة في مثل جمالها لابد لها وأن تسكن القصور ولا يجب أن تمشي في مثل هذه الأحياء الحقيرة ... وفي هذه الأثناء كان أحد الشباب الذين في السيارة قد ناداه قائلا

"هيا يا راندال سنتأخر علي الحفل " وقبل أن يتركها ويذهب إلي السيارة هم ليقبل لورا ولكنها فاجأته بصفعة شديدة علي وجهه وأمسكت بيد صديقتها ثم فرتا هاربين إلي منزلهما ... ومر يومان علي هذه الواقعة كانت لورا قد نسيت تماما ما حدث وبدأت في ممارسة حياتها بأسلوب طبيعي لو لا أنها كانت تشعر بأن هناك ما يكدر والدها ويجعله دائما حزينا ومهموما ... كانت تشعر أنه يخفي شيئا ما حتى لا تعرف والدتها بالأمر فتتدهور صحتها أكثر مما هي عليه الآن ... وعندما سألته أجابها بأنها بعض المضايقات في العمل ... فرئيس العمل الجديد " السيد مرسية الابن " هو إنسان صلب .. جامد .. متحجر القلب .. لا يراعي ظروف ومشاعر موظفيه حتى أنهم في العمل " مرسية الحقير " ... ثم أخذ يشكر في رئيس عمله السابق " السيد مرسية الأب " ..فقد كان إنسانا عطوفا علي كل من معه ... خففت لورا عن والدها ثم سألته أن يصبر فأي رئيس عمل جديد وخاصة إن كان شابا فإنه يفعل دائما ذلك بل وأكثر منه ... ثم ودعها أباها ليذهب إلي عمله ... أما هي ففعلت مثلما تفعل يوميا نظفت المنزل ثم دخلت لتعد طعام الغداء ... وبعد أن انتهت من أعمالها المنزلية ارتدت فستانا أنيقا ثم ذهبت إلي حديقة المنزل لتجمع بعض الزهور التي تحبها ثم جلست بهم علي النافورة الصغيرة التي تتوسط حديقة منزلها ... وبينما وهي غارقة في التفكير في (توم) فإذا بها تجد من يمسك يدها ثم ينادي باسمها (لورا) ، وعندما استدارت لتتعرف من الذي تجرا وفعل ذلك فإذا بها تفاجأ بذلك الشاب الأنيق المدعو (راندال) ... عندئذ هبت واقفة في مواجهته بوجه صلب جامد فابتسم هو ابتسامة خفيفة ثم علق بأنه جاء للاطمئنان عليها بعد تلك الليلة ... فأخبرته أنها نسيت كل شيئ وأنها في أحسن حال ... وعندما أحس راندال أنه غير مرغوب في وجودة هب ليمشي فإذا بها توقفه لتسأله من أين له باسمها وعنوان منزلها ...

وعندها ضحك ضحكة أقرب للشر أكثر منها للخبث ثم علق بأنه يستطيع أن يعرف كل ما يريد وعندئذ أمسكها من يدها وضمها إليه ففزعت وركلته في ساقه ثم فرت هاربة تحتمي بمنزلها وعندما نظرت من النافذة وجدته يستقل سيارته ويبتعد بعيدا ... لم تستريح لورا لهذا الشاب فهذه الشخصية الغامضة .. المعتدة بنفسها .. التي تتصور أنها تملك كل شيي لم تكن في يوم من الأيام لتثير اهتمامها ... إنها دائما تفضل الإنسان البسيط .. الرقيق .. الواضح .. الصريح مثل (توم) الذي دعته في هذا اليوم بالذات ليتناول معهم طعام الغداء ... وفي مساء هذا اليوم أخبرها والدها أن (السيد مرسية) يقيم حفلا في منزله بمناسبة توليه (مرسيه الابن) رئاسة شركاته وانه سوف يصحبها إلي هذا الحفل ... سعدت لورا كثيرا لهذا الخبر فهي تحب الحفلات كثيرا ولكن هذه ستكون أول حفلة تحضرها في قصر فخم مثل قصر آل مرسيه الذي سمعت عنه كثيرا ....واستعدت لورا لهذا الحفل خير استعداد ... فكانت يوم الحفل هي أجمل فتاة في القصر ... شدت انتباه جميع من في الحفل من رؤساء وزملاء والدها في العمل ... حتى إن السيد مرسيه الأب نفسه أبدي إعجابه بها ... مرت ساعتين وهم في الحفل ولم يظهر الرئيس الجديد ـ مرسيه الابن ـ بعد حتى إن الموظفين والعاملين بالشركات كانوا في غاية الارتياح لهذا جدا ... أما لورا فقد كانت تريد أن تراه ... ليس لتبدي إعجابها أو إستياتها منه ... ولكن لتري من هو ذلك الرجل الذي لديه هذه القدرة الهائلة علي جعل كل من حوله يهابوه بهذه الطريقة ... وبينما وهي غارقة في أفكارها فإذا بالكأس الذي في يدها يقع منها عندما تكتشف أن السيد مرسيه الابن ماهو إلا ذلك الشاب المتغطرس (راندال) ... اضطربت لورا اضطرابا شديدا عندما اكتشفت هذا الأمر ... أما هو فلم يهتز له جفن أو يظهر عليه أي علامة من علامات القلق أو الاضطراب بل إنه اقترب من والدها بخطوات ثابتة ... واثقة ثم طلب منه ابنته للرقص ... وبينما وهما يرقصان كانت لورا في غاية الاضطراب والقلق حتى أنه أحس برعشة يدها في قبضته ...

أما هو فقد كان في غاية الاتزان ولم تفارق تلك الابتسامة الباردة شفتيه ... بعد مدة غير قصيرة في أثناء رقصهما بدأ هو في الكلام معها معلقا علي تلك الرعشة التي تنتابها ... أما هي فقد نظرت إليه بعينين نزعت منهما الرقة والبراءة اللاتي عهدت بهما وقالت له " إذن فقد كنت تعرف" فعلق قائلا : " نعم .. كنت أعرف " بل وأكثر من هذا أنني أنا الذي رتبت لهذا الحفل لكي تأتي إلي ، وتذكري كلمتي إنني عندما أريد شيي فدائما ما أخذه" ... ولولا صغر حجم جسمها الذي كان مثل العصفور الصغير لنجحت محاولتها في التملص منه وتركه ولكنه كان محكما لقبضته عليها فباءت محاولتها بالفشل ... وبعد انتهاء الرقصة أخذها (**راندال**) من يدها ثم ذهب بها إلي والده الذي ربت علي كتفها وعلق بأن زوجته (**السيدة مرسييه**) ستكون في غاية السعادة لو أنها تعرفت علي فتاة في رقة وجمال لورا ... فأعقبته لورا بالتعليق بأنها هي التي ستنال هذه السعادة لو أنها استطاعت التعرف علي (**السيدة مرسيه**) التي سمعت كثيرا عن مدي طيبتها ورقتها ومساعدتها للغير وحرصها علي السبق في الأعمال الخيرية ... ضحك السيد مرسيه ثم طلب من (**راندال**) أن يصحب (**لورا**) إلي غرفة والداته كي يعرفها بها لأنها سيدة مريضة ولا تحب هذه الحفلات العامة ... وبالفعل أخذها راندال إلي غرفة والدته التي أبدت إعجابها الشديد بها ثم علقت أنها كانت تتمنى طوال عمرها أن يكون لها ابنة في مثل جمالها ورقتها وعذوبتها .... بعد انتهاء الحفل تكررت زيارات (**راندال**) لمنزل عائلة (**لورا**) الأمر الذي كان يسعد والدها بينما كانت لورا في تخوف مستمر ومتزايد من هذه الزيارات .. وقد حرصت لورا في كل زيارة لراندال أن يكون (**توم**) متواجد معها الأمر الذي كان يجعل والدها في أشد الضيق منها ... وفي أحد الأيام .. و بينما كانت لورا وعائلتها في انتظار راندال كالعادة فإذا به يتصل لكي يعتذر ويلغي الزيارة معللا ذلك بانشغاله في أعمال هامة ... أراح هذا الخبر بال (**لورا**) وقتها ولكن عندما تكرر انقطاع زيارات راندال بدأت لورا في أن تتحير في أمرها ...

فقد أصبحت تفكر فيه كثيرا ... بل تطور الأمر أنها أصبحت تعقد مقارنه بينه وبين (**توم**) ... راندال الذي يجعلها تشعر بأنها ملكة جمال الكون .. راندال الذي يداعب عينيها بعينيه فتستمتع معه بالصمت الذي يدور بينهما ... أما توم الذي دائما يتكلم عن معاناة الفقراء ومعاناة الناس في دول العالم الثالث الفقيرة ... لقد تحيرت لورا في أمرها ... ماذا تريد ؟!! ..من تريد؟!!

إنها تحب (**توم**) ... لكن (**راندال**) .. إنه .. إنه ... إنها لاتعرف ماذا يمثل راندال لها الآن ... كل ما تعرفه أنها قد اعتادت علي رؤياه ... ولعب الورق معه في غرفة المعيشة ... أو لعب الشطرنج في حديقة المنزل ... وفي أحد الأيام وبينما وهي تجري في حديقة منزلها محاولة اصطياد الفراشات فإذا بها تفاجأ براندال يقف أمامها ... كانت في شدة الخجل من رؤيته لها وهي تفعل مثل الأطفال ... أما هو فقد كان يبتسم كعادته دائما ثم طلب منها أن يتكلم معها قليلا ... صدمت لورا عندما فوجئت به يطلب يدها للزواج .. أحست لبضع ثواني أن لسانها قد شل عن الكلام ولكنها استطاعت أن تستجمع قواها سريعا ... وكان ردها عليه هو الرفض معللة ذلك بأنها تحب (**توم**) من كل قلبها ولن ترضي له بديلا ... نظر لها راندال ثم علق وكأنه لم يسمع ما قالته عن توم وعن حبها له بأنه سيعطيها فرصة لكي تفكر في الأمر وتستشير والدها ... وعندما جاء والدها من العمل وأخبرته بما حدث لاحظت عليه أنه وجم وشرد بعيدا وعندما سألته اضطر الأب أخيرا إخبارها بالحقيقة ... ألا وهو طبيعة القيد الحديدي الذي يغلل عنقه ويجعله خاضعا ذليلا لأوامر (**راندال مرسيه**) ... إنه مدين له بمبلغ كبير جدا من المال لن يستطيع رده له ... والحل البديل لإنقاذه من السجن هو أن يتزوج لورا .. صدمت لورا عند سماعها لهذه الأخبار ... ولكنها كانت تحب والدها بجنون فقررت أن تضحي هي بنفسها في سبيل إنقاذه ... ووافقت علي الزواج ... وجاء يوم الزفاف ... لم تكن لورا تعرف بماذا تشعر في هذا اليوم ...

فبالرغم من ضيقها من بعدها عن (**توم**) وضيقها من الطريقة التي تسلل بها راندال إلي حياتها ليقلبها رأسا علي عقب إلا أنه كان هناك شعور خفي بالسعادة في داخلها ... لم يستطيع توم أن يقاوم رغبته في رؤية لورا لأخر مرة وإن كانت في ثوب عرسها ... فحضر الزفاف ... وقدم لها هدية ... ولكن راندال أسقطها من يده ليعلن لهما بذلك انتهاء تلك قصة الحب التي جمعت بينهما ... ثم أخذ عروسه وطارا إلي إيطاليا لقضاء شهر العسل ... لم تكن لورا لتتخيل أن راندال بهذا التألق والحضور والجاذبية إلا عندما لمست هذا بنفسها أثناء رحلتهما إلي إيطاليا ... فقد كان لراندال مجموعة كبيرة من الأصدقاء والصديقات يعيشون بإيطاليا ... وقد كان من بينهم امرأة مغرمة براندال كثيرا وكان باقي الأصدقاء يحذروا لورا منها ... وأخذ هؤلاء الأصدقاء يروون للورا عن مدي حبهم لراندال ومدي تعلقهم به ... كما رووا لها أيضا كيف كان راندال هو الحلم لكل فتاة يعرفها ... لم تكن لورا لتتخيل أبدا أنها ستكون بمثل هذه السعادة مع راندال ... تري ما سر هذه السعادة ؟! لماذا تزوجها واختارها هي بالذات ؟! هل يحبها ؟!!

لا ... إنه لم يقل هذا أبدا ... ارتعدت لورا خوفا عندما فكرت في إنه ربما يكون اشتهاها فقط !!!

تري هل هذا هو السبب ؟!!

إنها حائرة لا تدري ... كل ما تستطيع فعله الآن هو الانتظار ... فهي لا تعلم ماذا يخبئ لها الزمان بين طيات صفحاته ...

وانقضي شهر العسل سريعا ... كانا قد زارا خلاله كل منطقه في إيطاليا ... لم يترك مكانا إلا وأخذها فيه ... وعاد العروسان إلي منزلهما ... كانت شقتهما تقع في الطابق الثالث من قصر (آل مرسيه) ... فوجئت لورا بالتغير الكبير الذي انتاب راندال بعد وصولهما إلي منزلهما ... فلم يعد ذلك الرجل المتغطرس المعتد بنفسه ... أصبح يتركها كثيرا بعدما كان لا يفارقها لحظة واحدة ... أصبح لا يتكلم معها بكثرة بعدما كان لا يمل صحبتها ... تري ما سر هذا التغير ؟!! ... هل ملها .. إنها لا تدري شيئا.

إن كل السيد والسيدة مرسيه يعاملاناها برقة ولطف وحب وحنان ... بل إن السيدة مرسيه قد أطلقت لها العنان وجعلتها هي السيدة الأولي في القصر ... ولكن هذا كله لم يخمد نار الشك التي اشتعلت في قلبها منذ أن عادا من إيطاليا من خمسة أشهر ... وفي كل يوم تزداد هذه النار اشتعالا في قلبها الذي بدأ يدق ... يدق بحب الدنيا ... وحب الحياة ... وحب حبيبها الوحيد ...

إن المعاملة الطيبة من السيد والسيدة مرسييه لم يشفعا لها إهمال راندال لها ... وبعد أن أباحت لوالدتها خلال زيارتها لها بكل ما في داخلها من هواجس وشكوك احتضنتها والدتها وقبلتها ثم طمأنتها أن حال زوجها هو حال كل الرجال في بداية الزواج ... وعندما هبت لورا لكي ترحل وتعود إلي منزلها فإذا بها تفاجأ بتوم أمامها ... كان معتادا أن يزور والدتها يوميا للاطمئنان عليها ومباشرة علاجها بنفسه ... فجلست معه برهة من الوقت لتطمئن علي أخباره وتطمئنه علي أخبارها ... وبينما وهما جالسان في غرفة المعيشة في منزل أهلها فإذا بها تفاجأ براندال يدخل عليهما وينظر إليهما نظرة تنبعث منها نارا وشرا ... وعندما وقف توم ليحيه فإذا به يقابله بلكمة أفقدته توازنه فسقط علي الأرض مغشيا عليه ... ثم نظر إلي لورا نظرة تنبعث منها خليط من المشاعر المتناقضة المختلفة ولم ينطق بكلمة بل إنه غادر المكان تاركا إياها ... وعلي الرغم من أنه كان مسرعا في قيادة سيارته قاصدا منزله مباشرة إلا أنه فوجا بلورا في المنزل قبله تنتظره ... وعندما رآها تركها ودخل مسرعا إلي غرفة النوم فلحقت به ... وقبل أن تنطق بأي كلمة أخبرها بأنه علي استعداد تام لإتمام إجراءات الطلاق الذي تريده لتصبح بعدها حرة تفعل ما تشاء دون أن يقوم هو بدور الزوج المخدوع ... فابتسمت لورا وكأنها لم تسمع شيئا مما قال أو إنها سمعت قصيدة غزلية فيها لا كلام لاذع وعلقت مبررة موقفها بأنها كانت جالسة مع توم أخيها الذي نشأت وتربت معه ولم تعرف غيره طوال حياتها فتهيا لها أنها أحبته ...

ولكنها في الواقع لم تحب سوي شخص واحد فقط وبسبب غطرسته كان لسانها ينطق بما لا يقبل قلبها ... أحس راندال بصدق كلامها فهو الأخر يحبها مثلما لم يحب امرأة من قبل ... كانت لورا هي الأمل الذي أشرق عليه حياته وقد لحبا هو الأخر إلي أسلوب الغطرسة معها بسبب عنادها المستمر معه ... وعندئذ احتضن كل منهما الأخر في شوق وسعادة ... وعندها همست لورا في أذنه " أنا حامل " .

أو ضحت الكاتبة في هذه القصة عدة نقاط هامة ألا وهي :

- العلاقات النسائية المتعددة لراندال التي جعلته يستطيع أن يفرق بين العلاقات العابرة ، وعلاقة الحب الدائم ... وأعتقد أن هذا حال كل الرجال .

- أما لورا فقد كانت فتاة ساذجة ... تعيش في مجتمع مغلق لا يعرف أحدا سوي والدها البسيط ، وأمها المريضة والتي كانت لورا تقوم بخدمتها ، وتوم ذلك الطبيب الشاب الذي نشأت وتربت معه فهيأ لها أنها تحبه ... ولكن إن كانت لورا فتاة اجتماعية لها العديد من الصداقات وتعرف العديد من الشبان ... هل كانت ستشعر بحب توم ...

لا أحد يعرف ... وربما أن الكاتبة نفسها لا تعرف
لأنه كما قلت سابقا لا توجد دراسة معياريه
للإنسان .

* * * * *

وأخيرا أقول أن الحب ما هو إلا تلك المشاعر التي تخرج من القلب إلي القلب ... ليشعر بها اثنان يجمعهما الحب تحت جناحيه ليطير بهما في دنيا الخيال ثم يهبط بهما علي أرض الواقع السعيد ليرسما سويا المستقبل الجميل الذي سيعيشاه .

ويقول الشاعر عن الحب :

لو أستطيع حبيبتي

لنثرت شيئا من عبيرك

بين أنياب الزمان

فلعله يوما يفيق ويمنح الناس الأمان

لو أستطيع حبيبتي

لجعلت من عينيك صبحا

في غدير من الحنان

ونسجت أفراح الحياة حديقة

لا يدرك الإنسان شطان .. لها

وجعلت أصنام الوجود معابدا

ينساب شوق الناس .. إيمانا بها

لو أستطيع حبيبتي

لنثرت بسمتك التي

يوما غفرت بها الخطايا .. والجراح

وجمعت ليل الناس حول ضيائها

كي يدركوا معني الصباح

لو أستطيع حبيبتي

لغرست من أغصان شعرك واحة

وجعلتها بيتا تحج له الجموع

وجعلت ليل الأرض نبعا من شموع

ومحوت عن وجه المني شبح الدموع

فغدا سنهزم في جوانحنا

المخاوف

الظنون

ونعود بالأمل الحنون

فالحلم رغم اليأس يسبح في العيون

مازال يسبح في العيون

مازالت أحلم

يا رفيقة حزن أيامي

ومازال الجنون

فالحلم في زمن الظلام مخاوف

وضياع أيام وشيي من جنون

لكنني مازلت رغم الخوف

رغم اليأس ..

رغم الحزن

أعرف من تكون

هيا لنحلم بين أعشاب السكون

فغدا ستصبح بالربيع حديقة

ويصبح صمت الأرض   فليحيا الجنون

فهرس المحتويات